

على هامش المحرمات الأدبية

أيها الأدباء أعصابكم !

للأستاذ دريني خشبة

الحكومة مسئولة عما شجر من الشر بين الأدباء ...

ونحن نلقى تبعه هذا الشر على الحكومة لأنها مقصرة في حق الأدباء ، فهي لم تدبر لهم مصيفاً جميلاً في رأس البر أو الإسكندرية كما دبرت لنفسها ذلك المصيف الجميل في بولكلى تختلف إليه كلما شاءت ؛ وهي لم تبح لهم جامات السباحة يفسحونها بالمجان لتعنيهم على حر القاهرة القانظ الذي ترك أدمغتهم تغلى وعرقهم يسيل ؛ وهي لم تفتح لهم خزائنها بنهبهم منها ما يشاؤون ويرثون منها ما يرغبون ؛ وهي لم تبح لهم قطاراتها وسياراتها يجيئون بها ويروحون دون أن يكلفهم النقل السهل الرخي إلا ملء استارة سفر لا ترهق جيوبهم ولا يتقل محريرها على أقدامهم ؛ وهي لم تخاطب الدولة الخليفة في شأن تلك الحدائق التي كانت تفرج كروهم وتشرح صدورهم ، وهي لم توزع عليهم الحلوى والمرطبات التي تختص بها نفسها في المواسم والأعياد وهم إليها ناظرون وإلى القليل منها يتلهظون ...

الحكومة لم تصنع شيئاً من هذا ... بل هي تؤثر نفسها بكل مَناعم الدولة من دون الأدباء ، وهي تتركهم لقيظ يوليو

الجمال ؛ وإنما أدعو وزير المعارف دعوة فنية ، أدعوه إلى إقامة تمثال سيزستريس في ميدان باب الحديد ، وهو تمثال لم يجُدد بمثله الفن في شرق ولا غرب ، وهو الآية الخالدة على أن مصر دار الفنون وإذا قيل إن الحفاوة بتمثال سيزستريس تنافي الدعوة إلى الوحدة العربية فيكون جوابي أنه يشهد بقدرة العرب على امتلاك بلاد الفراعين

متى أرى تمثال سيزستريس في ميدان باب الحديد ؟

ومتى يرى كل قادم عظمة مصر في ذلك التمثال ؟

ومتى نفهم أنه أولى بالحفاوة من المسلة المصرية بميدان

الكونكورد في باريس ؟

لن أنسى أبداً أن بلدي أفضل البلاد ، وأنه العلم الأول لجميع

الشعوب

رُكى مبارك

وأغسطس يشوى جلودهم ويذيب أعصابهم ... ثم يتلاعب بأفلامهم فيشرعونها لحاربة أنفسهم لأنهم لم يفظنوا لما صنعت الحكومة بهم فلم يطالبوها بشيء ، ولم بصرخوا في آذانها كما صرخ الموظفون النسيون ، وكما صرخ رجال التعليم الإلزامي والمدرسون المتقولون من مجالس المديرات ... وهم يخدعون أنفسهم حين تملأهم صاحبة الجلالة الصحافة غروراً وكبرياء ، وحين تصوّر لهم أنهم ملوك ، بل قياصرة غير خلق بهم أن يشترشوا شكاة أو يظهروا أحداً على بلوى

لهذا خلا الأدباء إلى شياطينهم وفرغوا إلى أنفسهم ... فهم منقسمون إلى معسكرين ... معسكر الشباب ومعسكر الشيوخ . ومعسكر الشباب منقسم على نفسه لأن أجناده ثوريون ، فإن لم يجدوا ما يشورون عليه ثاروا على أنفسهم ، كالنار التي تأكل بعضها ، إن لم تجد ما تأكله

ومعسكر الشيوخ منقسم على نفسه أيضاً ، إلا أنه غير ناثر ، لأن الغالبية من أجناده تعرف الرزاة وتؤثر النظام ، إما للسن المتقدمة التي يُتبعها الجلال ولا تصبر على الوغى ، وإما بإشارة للمافية ، واعترافاً بما فطرت عليه من ضعف

والحكومة مع ذلك تنظر إلى كل هذا لاهيةً ساهية ، لا ترى أن تشغل الأدباء المسلطين على أنفسهم برحلة جميلة تدبرها لهم في مواقع المسكين أو بين أطلال ستالينجراد ... ولا ترى ، إن لم يسمها الترفيع عنهم بالمصيف والمرطبات وحمامات السباحة ، أن تجندهم تجنيداً إجبارياً ليدرسوا لها مشكلات الأدب بعد الحرب ، بما تشمله تلك المشكلات من مسائل اللغة والتعليم والكتابة والتأليف والزواج والطلاق والهجرة والحد من نشاط المهاجرين إلى مصر من سُذاز الأمم ولصوص البحار

الحكومة تنظر إلى الأدباء ساهية لاهية ، لا ترى أن تشغلهم بشيء من جد الحياة أو من لهوها . والأدباء مُسلطون على أنفسهم تشغلهم السفايف ، وتنهب فراغهم الهينات الهينات ، كأن هدير المدافع وقصف الطرايد وأزيز الطائرات لا يصل إلى أسماعهم ، وكأن الدنيا التي تجدد في أوروبا وفي المحيط الهادئ تهزل في مصر ، وكأننا فرغنا من علاج مشكلاتنا فلم يبق إلا أن نهدم أنفسنا !

فريق من أدباء الشباب برم ساخط ضائق بنفسه وبالدنيا لأن شيوخ الأدباء بارزون في الحياة المصرية وهم غير بارزين ،

العقاد ، فقد كتب في هذه المجلة كما كتب في غيرها يرد على هؤلاء الشباب فرجهم رجماً موجعاً ... وأحسب أن الصيف كان يفعل أفاعيله في أعصاب الأستاذ الجليل فأحرف به القبط عن الجادة ، إذ راح يتهم هؤلاء الشباب بأنهم شيوعيون هدامون ، وأنهم يحسدون شيوخ الأدباء الذين ينفرون السوق الأدبية بالكتب ، والصحف والمجلات المحترمة بالمقالات ...

وتهمة الشيوعية هنا تهمة باطلة لا أساس لها من الحق ، وقد أرسلها الأستاذ إرسالاً لا تثبت فيه ولا روية ، وأكبر الظن أنها صائرة إلى ما صارت إليه تهمة الإلحاد القديمة التي سمجت حتى قضت على نفسها القضاء المبرم . ونحن نتمنى ألا تتراسق بالتهمة ، وألا نبتدع فيها تلك الألوان المهلكة التي تنافي ثقافتنا وديننا وتضر نهضتنا وبلادنا ... وقد قرأت في إحدى مجلات الشباب رداً على الأستاذ العقاد يشبه المهوس ، فقد ترك الكاتب الشاب موضوع النقاش وتناول العقاد مجلة وتقصيلاً ، فنفي عنه أنه كاتب ، ونفي عنه أنه مفكر ، ونفي عنه أنه مؤلف ، ... ثم ضحك ممن يقولون عنه إنه شاعر ! وكل هذا هو المهوس بعينه ... ولن ينفي كل هذا أن العقاد كاتب كبير جداً ، ومفكر خصب التفكير جداً ، ومؤلف له كتب كثيرة جيدة جداً . ولن ينفي عنه أنه شاعر من أرق شعرائنا خيالاً وأخصبهم معاني وأدقهم تصويراً ، وإن لم يحدث في الشعر العربي ، على حد ما بينا في مقالنا السابق ، ثورة أو حداثاً كبيراً ذا بال

وقرأت في المجلة نفسها إنذارات موجهة إلى طه حسين وأحمد أمين ، وهي إنذارات تدل على عدم نضوج الأقلام التي سودتها ، فهم يندرون طه حسين بإظهار القراء على الأغلاط الواردة في كتابه الأيام (الجزء الثاني) كما يندرونه بتعقب أغلاطه في كتبه الأخرى . وهذه هي المهارة التي لا تليق بنا لأننا لن نكسب شيئاً قط إذا هدمنا العقاد وطه حسين وأحمد أمين والزيات والملازني ... وهذه الطائفة التي أقامت نهضتنا الفكرية والأدبية وعلمتنا وسبقتنا إلى الميدان ... وقبل أن نحاول هدم هؤلاء جميعاً فواجبنا ألا نكون نهليستيين Nihilists نهديم ولا نضع شيئاً . بل نهديم ولا نبالي ماذا يكون بعد الهدم ... يجب أن نفكر طويلاً في خطتنا قبل تنفيذها . فكروا أيها الشباب فيمن يخلف العقاد قبل أن تهدموا العقاد ،

ولأن القراء مقبلون على هؤلاء الشيوخ الأدباء ولا يقولون على أولئك الشباب ، فلا بد لهم إذن من أن يشبوا جذعة عليهم ، ولا بد لهم إذن من أن يخلو الدنيا من أولئك الشيوخ الذين بنوا النهضة الأدبية والنهضة الفكرية في مصر وفي غير مصر من الأقطار العربية ، ولا بد من أن يخلو لهم وجه الأرض في مصر وفي الشرق العربي يصلون وخدم فيه ويجولون

ولكي يتهم لهم ذلك فليس لهم بد من أن يكيلوا لهم لشيوخ الأدباء . فالعقاد عاجز ولا شأن له بالشعر ، وطه حسين له كتب ركيكة محشوة بالأغليط ، والزيات يكتب بأسلوب معقد يملو على أفهام القراء ، وأحمد أمين رجل مصنف لا شأن له بالأدب ولا مذهب له في الكتابة ... والملازني يلفق مقالاته من التفاهات ... وعنان يسطر على جهود المؤرخين ويعزوها إلى نفسه ، والجارم ينتهب معاني الشعراء وينظمها لنفسه ومع ذاك فهو يسفل بها ولا يعلو ، وهيكل مؤرخ عقيم لا يصبر على صرامة التحقيق ، ثم هو داعية متحمس ، والعلم يناقش الدعوة وينافي التحمس هكذا يقول أدباء الشباب ، وهكذا يكتبون في صحفهم ، ويتحدثون في مجالسهم ، ويسمعون في نواديهم . والمدعش حقاً أنهم من كثرة ما يرددون هذا اللغو أخذوا يظنون أنه الحق بل أخذوا يمتقدون أنه الحق

أما الأدباء الشيوخ فيفهمزون الشباب دائماً ويلمزونهم دائماً ولكنهم قلما يصرحون بشيء فيما يرددون به على تلاميذهم البرمين الثائرين المتسخطين ، وهم يلزمون الصمت ويلوذون به لأن هؤلاء التلاميذ الخصوص لم يعودوا يعرفون التأديب والاحتشام في مخاطبة أساندهم أو في مقارعتهم ، فهم لا يباليون أن يقولوا إن هؤلاء الشيوخ أصبحوا أصناماً للأدب في مصر بعكف القراء على عبادتهم ، وأنهم لا يتركون للشباب من الأدباء متنفساً من الهواء ، لا في مصر ولا في الشرق العربي ، وأن لا يخرج لهم من هذا الضيق ولا منفذ من هذا الحرج إلا بتعطيم تلك الأصنام الطاغية العاتية ... ليخلو لهم وجه الأرض فيبيضوا ويصفروا !

وهذا التعبير القاسي هو من أيسر ما يقولون قدحاً في الرجال الذين بنوا لنا نهضتنا الأدبية والفكرية . وهو دليل على أن الحركة بين الشيوخ والشباب قد انحرفت عما كنا نرجو من ورائها من خير على أن واحداً أو اثنين من شيوخ الأدباء لم يصبروا على أن يسقط الشباب أسننتهم على هذا النحو . وأحد هذين هو الأستاذ

أدري لماذا تقدم زكي مبارك ثم تأخر ثم تقدم ثم تأخر ... هذا إن دل على شيء فهو إنما يدل على شيء يشبه الإشفاق أو يشبه الخوف ، أو يشبه حالة بين الإشفاق والخوف ، فقد نادى زكي مبارك مرة بأعلى صوته فقال : أنا أكتب منك يا عقاد ، وأنا أشر منك يا عقاد ، ومؤافاتي لا تسمو إليها مؤلفاتك ... ثم لم يلبث أن ختم صيحته بكلمات هن إلى الملاينة والاسترضاء أقرب منهن إلى ما هو دون الملاينة والاسترضاء ... ثم عاد في كلمة أخرى فسأل بعض القراء ألا يوقعوا بينه وبين العقاد ليقعدوا هم ويفرجوا ! ولست أدري العلة في جرأة زكي مبارك على الماضي وإشفاقه من العقاد على هذا النحو المكشوف ؟ أفصح يا دكتور زكي ... أفصح ... أفصح ولا تحسن أحداً قد صدقك حينما رفضت عقيرتك بأنك أشر شعراء هذا الزمان ... وإن كنا يسرنا جداً أن تكون كذلك ... يا دكتور زكي : أنت لست أشر أهل هذا الزمان ولا أكتب أهل ... بل أنت أجزأ كاتب في الشرق العربي فاعلة إشفاقك من العقاد ؟

أما انشقاق معسكر أدباء الشباب فقد كان على أحقره في اللحمة الأخيرة التي دارت عن هذه القضية التي لم أفهمها إلى اليوم على وجهها ، وهي قضية « الأدب المهموس » ، فقد نزع شيطان الجدل بين الأدبيين المتحاورين ، إذرى أحدهما الآخر بما لا يليق أن يرى به رجل رجلاً أبداً ... وقد ألفت تلك الغمرة غير اللائقة في أسلوب مكشوف لا يصعب فهمه على أحد ... وقد جاء رد الأستاذ الأديب الآخر ردّاً مرناً مضحكاً ، فلم يضق بما رُى به ، بل أجازه ، ثم علله تعليله العلمي اللبق الظريف ، إلا أنه لم ينس أن يجرح محاوره كما جرح فرما بالسماجة والصفاقة في مرض الرد عليه بعدم استحباب أن يستشهد الأديب بكلامه من نظم أو نثر . ولو وقف الرد عند هذه الملاحظة لماك الأستاذ الدكتور (...) ناصية الحق ، إلا أنه برهن على صدق نظريتنا المتعلقة بأعصاب الأدباء في الصيف ، فرى مناظره بالسماجة والصفاقة ... ونحار نحن في التعليق على ما حدث : أي المتناظرين جار قبل أخيه عن القصد ، وأيهما بدأ بالدوان ... ولعل الذي سبب أخاه في كمال رجولته أعظم ، ولعله هو الذي انحرف أولاً فسبب انحراف مباحبه ، ثم زاد الطين بلة فسخر من كفايات زميله وهو ما لا يوافق أحد عليه ، وهو أيضاً ما نرجو أن نتعالى في جميع مناقشاتنا عنه ...

إن استطعتم إلى هدمه سبيلاً ... روا في كاتب منكم يستطيع أن يتقن بما تقتضيه به العقاد ، يستطيع أن يكون عصامياً في ثقافته كما كان العقاد عصامياً في ثقافته ... ونكروا قبل أن تهدموا طه حسين في الرجل الذي يستطيع أن يزعم نهضة أدبية في أمة بأكلها فيسهر عنهم ، ويشق في سبيلها ويقاصر من أجلها بسعادته وسعادة أهله ... صنع طه حسين ... ولتكن لطله حسين عيوبه التي تشق المرء ، ولتكن للرجل ماضيه ، وله حاضره أيضاً ، وأنتم أنتم من ثمرات ذلك الماضي فلا تنكروا له ، فإن رأيتم فيه حاجاً تقوموه بالحسنى ، وأمامكم ميدان النقد البريء فغوضوه أجمعاً ، واشتدوا فيه كما تشتهون وأما محاولتكم هدم أحد من منساري لا يليق بكم أيضاً ، فقد أصبح أحد أمين إماماً من أئمة نهضتنا ، وأستاذاً من أساتذة الجيل ، أعجبكم هذا الكلام أو لم يعجبكم ، ثم هو كان إماماً هادئاً متزنًا رزيناً ، فهل ... لم يتم في أحد منكم يستطيع أن يصنف ما صنّف ويؤلف مثل الذي ألف ويجاهد في سبيل النهضة الفكرية كالذي ناضل ومجاهد ؟

وأما الزيات الذي تزعمون أنه يرقش ويتركش ، ويتخذ (الكليشيات) لأسلوبه مملة أنكم لم تنضجوا بعد ، ولم تدركو من طلاوة البيان العربي ما أدرك ... ذلك البيان الذي جدد الزيات شبابه وتزعم مدرسته وخلق لها مما كتب وما ترجم التلاميذ والحوارين ... ما هو ذا يكتب آياته في الدفاع عن البلاغة فينشئ لكم ما أنشأ سانت بيغ وهازلت وأرنولد وغيرهم من زعماء النقد . على أن هذا الضيق الذي أخرج صدور بعضكم من الزيات ليس من صنعكم ، فقد صنعه لكم - وأأسفاه - أحد شيوخ الأدباء ، وهذا هو انشقاق الشيوخ على أنفسهم ... ذلك الانشقاق الذي أفادكم في - وصومتمكم غير البصرة ، والذي أفاد نهضتنا الفكرية بقدر ما أضرها . وحسبنا هذه الإشارة اليوم ! وأظرف ما في معسكر الشيوخ من فتنة مكبوتة تلك النذر الضاحكة التي يلوها الدكتور زكي مبارك ، والتي لا تجد لها صدى قط على صفحات الجرائد ... فزكي مبارك جرىء على الماضي جرأة لا حد لها ، والممازني لاند بأذيال الصمت ... والممازني بهذا الصمت يحكم زكي مبارك الذي لا ينال منه إلا صمت مناوشيه ، ولا يرمحه إلا أن يردوا عليه فيرد عليهم ، ثم يردوا عليه فيرد عليهم حتى يخيل لنا أن المعركة لن تنتهي ... أمام العقاد فلسفت